اللغة الدبلوماسية كتعبير رقيق

د.سعيد أبو عباه

يعرف " آرنست ساتو " الدبلوماسية بأنها " استخدام الذكاء واللباقة في إدارة دفة العلاقات الرسمية بين حكومات الدول المستقلة."

ينصحون الدبلوماسي بأن يكون قليل الكلام كثير الإصغاء حتى إذا ما أضطر للتعليق أو الإجابة على كلام محدثه وجب أن يكون جوابه محكماً ورأيه سديداً وألا يدلي به إلا بعد تفكير عميق. كان مترينخ يتقن سبع لغات ومع هذا فقد قيل عنه " أنه يتقن الصمت في اللغات السبع ." وإذا ما أتيح للدبلوماسي التفاوض، عليه أن يعرض الموضوع بشكل تدريجي فيقف عند الحد الذي يضمن له معرفة استعداد محدثه لقبول ما يعرضه، وعندئذ يغير مجرى الحديث بالنسبة لما يشاهده على وجه مخاطبه من إمارات الاستحسان أو الاستهجان.

ومن أهم أساليب المفاوضة أن يعرض المفاوض أفكاره على مراحل بحيث يجزئ الصعوبة ويحصل على موافقة الطرف الآخر على مختلف الأجزاء تباعاً.

وقد أدت " اللباقة " الدبلوماسية إلى استعمال لغة خاصة فعندما يقول الدبلوماسي " نعم " يعني ذلك " ربما " وعندما يقول " ربما " يعني بذلك " كلا "، أما إذا قال " كلا " يكون قد تخلى عن الصفة الدبلوماسية . وقد قيل أن : " الدبلوماسية هي أن تعمل وتقول أتفه الأشياء بأجمل أسلوب ". وقيل أن: " الدبلوماسي هو الرجل الذي يفطن لعيد ميلاد سيده ولكنه ينسى السن الذي بلغته."

- وإذا قال الدبلوماسي : " إن حكومتي ترى حيال هذا الأمر أنها مضطرة لإعادة النظر بدقة في موقفها " فذلك يعني بأن الصداقة بين البلدين أو شكت تنقلب إلى عداوة.

- وإذا قال الدبلوماسي : " إن حكومتي ترى حيال هذا الأمر تحفظات صريحة بهذا الشأن " فذلك يعني أن حكومته لا تسمح بالأمر.

- وإذا قال : " إن حكومتي ستضطر، حيال هذا الأمر إلى مراعاة مصالحها الخاصة " أو " أن حكومتي تدعي بحق حرية التصرف " فذلك يعني أن حكومته تبحث في قطع العلاقات.

- وإذا قال : " إن حكومتي ستعتبر هذا العمل غير ودي " فمعنى ذلك أن حكومته تهدد بالحرب.

- وإذا قال : " بأنه يرفض مضطراً تحمل تبعات النتائج " فإن ذلك يعني بأنه على وشك إثارة حادثة قد تؤدي إلى نشوب الحرب.

- وإذا قال : " إن حكومتي ترجو أن يصلني جوابكم قبل الساعة ..... من يوم ..... الجاري " عندئذ تعتبر رسالته كإنذار.

وكثيراً ما تحدد مدة إلى رجال السلك الدبلوماسي عندما تتخذ الدولة المضيفة قرار طرد بحقهم ومع هذا فاللغة الدبلوماسية تقضي باستعمال منتهى الأدب في صياغة قرار الطرد وفي أساليب تنفيذه . فالحكومة تكتب عندما ترغب بطرد سفير معتمد لديها لدولته : " إن الحكومة ..... تكون ممتنة لو غادر السفير البلاد خلال 24 ساعة. "

أما الفائدة من هذه الاصطلاحات التقليدية التي قدمنا عنها بعض الأمثلة فهي المحافظة على جو الهدوء ومساعدة الساسة على تبادل الإنذارات الخطيرة دون حدوث سوء تفاهم بينهم بقدر الإمكان. ولكن المحذور منها أنها كثيراً ما تغرر الغير بغموضها وبخاصة أفراد الشعب الذين قد لا يعيرونها الاهتمام الذي تستحقه في بعض الأحيان ويغالي البعض في هذا الغموض إلى حد الخطورة، مثال ذلك ما ورد في تقرير لرئيس بعثه عن أحد موظفيه أرسله إلى وزارة الخارجية ذاكراً عن ذلك الموظف ما يلي : " أخبركم بكل أسف بأنه لا يعطي صحته الاهتمام الذي نصح به الأطباء". وفي الحقيقة كان الموظف المشار إليه في آخر رمق من الحياة يتلوى على فراش الموت بسبب إدمانه على معاقرة الخمر، مما لا يمكن استخلاصه من العبارة الواردة في حقه.

وعلى كل حال يمكن القول أن فوائد " اللغة الدبلوماسية " تفوق بكثير محاذيرها، ولذلك فأن الدول ما زالت شديدة الحرص على التزامها بها في علاقاتها المتبادلة الرسمية. أما الإخلال الواقعي الذي يأتي على لسان بعض المسئولين لقواعد الأدب الدبلوماسي والأعراف الدولية فلا يؤبه به وهو حقاً مدعاة للأسف والحزن.

- المقالة من كتاب الدبلوماسية : تاريخها مؤسساتها أنواعها قوانينها ، للكاتب الدبلوماسي الدكتور سعيد أبو عباه ، .dr.said.nazal@gmail.com
- الكاتب يشغل منصب رئيس جمعية الصداقة بين الشعوب، رئيس جمعية أصدقاء وخريجي جامعات ومعاهد رابطة الدول المستقلة، رئيس جمعية منظمة شبيبة التحرير الفلسطينية، حائز على درجة دبلوماسي معتمد – أكاديمية الدراسات العالمية.